ظاهرة الانتحار في الجزائر:مسارها وتطورها

د. عثمان فكـار- جامعة سعد دحلب البليدة

مقـدمـة:

لقد مثل الإنتحار ظاهرة قديمة قدم المجتمع البشري، كما شغل بال الفلاسفة والمشرعين ورجال الدين وذلك لما له من إنعكاسات وآثار وخيمة على الفرد والمجتمع على السواء،لقد خصصت في العصور القديمةالإغريقورومانية أنماط من الدفن للمنتحرين، ومنعهم من أي تشريف للموت، كما أن العقاب الإجتماعي كان مرتبط بالسبب المؤدي إلى الإنتحار،وعليه فمنذ العصور الأولى شرعت قوانين تمنع القيام بالفعل الانتحاري، واختيرت العقوبات كوسيلة للردع. كثيرمن المذاهب الدينية تجمع على تحريمه بإعتبار الفعل الإنتحاري هو تعدي على الذات نفسها،وقطيعة مع الحرمة الإلهية، فهو ممنوع ومحرم، بعض الديانات الأخرى تعتبره كفعل سلبي منبوذ، وأخرى تبيحه عندما لا تكون للفرد أي رغبة في الحياة، هذا السلوك كان يبيحه الفكر الأستوبيسي(stoiciens)، وقد ظهرت العديد من الأفعال الإنتحارية المسبقة عند الأشخاص المحكوم عليه بالإعدام، بعض الديانات أيضا تعتبره تضحية طقوسية وامتثالا لقيم إجتماعية وثقافية، كما هو الحال في بعض مناطق الهند على سبيل المثال.

لقدأصبح السلوك الإنتحاري ظاهرة عالمية لإنتشار نطاقها في كثير من المجتمعات، بشكل واسع وسريع بدرجة أن المنظمات الإقليمية والدولية أصبحت تنادي بوضع سياسة وقائية للحد منها،وإقامة مراصد وطنية للإتباعها.

على غرار المجتمعات الأخرى تعرف الجزائر تفشي الظاهرة بصورة متنامية، لا تعرف الحدود بين المناطق ولابين الفئات الإجتماعية، لإنتشارها في مختلف الشرائح الاجتماعية، والفئات العمرية، خاصة الفئة الشابة.

إن المتطلع على الصحافة اليومية المكتوبة يكتشف الأرقام والحقائق المرعبة عن الظاهرة، التي مافتئت وأن تعرف منحنيات خطيرة مع العشرية الأخيرة، سنحاول من خلال هذه الدراسة رصد بعض الجوانب المتعلقة بالخصائص السوسيودمغرافية، وإجراء مقارنة بين المناطق التي تعرف تفشي الظاهرة أكثر، وهذا من خلال قراءة للإحصائيات التي جمعناها من المصادر، بالإظافة إلى عرض لبعض رؤى المتتبعين للظاهرة.

إشكالية البحث:

إن الانتحار ظاهرة عالمية صاحبت الإنسان منذ ظهور البشرية، تطورت أساليبها وطرقها مع تطور وتعقد الحياة المعيشية، وحسب المنظمة العالمية للصحة ،الإنتحار يمس المليون شخص كل سنة ،أي ما يعادل أكثر من 100 شخص ينتحر كل ساعة [1]، تشير الدراسات من جهة أخرى أن كثير من الحالات الإنتحارية ليست محصية كأفعال حقيقية للإنتحار، بسبب اللّبس الذي تكتسيه هذه الأفعال، البعض منها مموه يدفع إلى إعتبارها موت عادية، وعليه المختصون في المجال الدمغرافي والإجتماعي والإحصائي يعتبرون أن الأرقام المطلقة للإنتحار غير مقدرة كما ينبغي، وهذا بنسبة 20% [2].

لقد أصبح الإنتحار في العشريات الأخيرة مهام الصحة العمومية، لا فرق بينه وبين الأمراض المستعصية الأخرى، لإستفحاله في المجتمعات وإنتشاره في مختلف الأوساط مهما كان مستواها الإقتصادي، الإجتماعي أوالثقافي.تختلف الدواعي والأسباب بإختلاف المقاصد والحالات التي يوجد عليها الفرد والمجتمع أيضا، يحمل السلوك الإنتحاري أيضا طابعا وظيفيا، كما يرى البعض من العلماء أنه يحمل صفات مختلفة :الإستغاثة، المعانات، الهروب القهري من الواقع المعاش، العدوانية تجاه الذات والآخرين... إلخ.

يمس الفعل الإنتحاري ثلاث مظاهر أساسية ومترابطة أيضا : المجتمع، الأسرة، الذات التي أقدمت على الفعل، ويرجع هذا الأخير أيضا إلى عدة أسباب، منها مايتعلق

(1)Jerome SOUTY, le suicide dans le monde, revue (Sciences humaines) n° 169, mars 2006, p.8.
(2)Christian BANDELOT, Roger ESTABLET? Le suicide l'envers de notre monde .Ibid, p.12.

بالحالة النفسية والمعنوية التى هي مختلفة[1]بدورها، ومنها ما يتعلق بالمحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه، وكذاالوضعية الإقتصادية التي يعيشها المنتحر،وهذا يعني أن المحيط المعاش له أهمية ويؤثر على أية عملية إقدام على الإنتحار، كما أن الظروف الإقتصادية والإجتماعية تؤثر بصفة مباشرة أوغير مباشرة على معدلات الفعل الإنتحاري، ولها علاقة أيضا بالحجم الذي تأخذه الظاهرة في المجتمعات[2].

بالنسبة لبلادنا التي أصبحت تحتل مكانة معتبرة على مستوى الدول العربية من حيث عدد الوفيات الناجمة عن الانتحار، انتشرت الظاهرة فيها عبر السنوات، واستفحلت أكثر في العشريتين الأخيرتين(سنوات التسعينات والألفية الحالية خاصة)، كما تشابكت ظروفها وعواملها،وأصبحت أكثر تعقيدا بعدما كانت في الماضي مجرد حالات عارضة، تستهدف أشخاص أغلبهم يعانون أمراضا عصبية، أو إختلالات في تركيباتهم النفسية.

فبطابعها التوسعي شملت المناطق الريفية والحضرية معا ،وامتدت إلى مختلف الفئات الجنسية والعمرية،. خاصة فئة الشباب التي توسعت في أوساطها في الآونة الأخيرة، وأخذت منحنيات وأبعادا خطيرة، فئة أصبحت تعيش واقعا آخرا، واقع التهميش والبطالة هيأها إلى عدم التفريق بين وسيلة الموت، سواء أكانت غرقا في البحر على متن قوارب "الحراقة"[3]،أو بحبل يلف على العنق.

---

(1)من الإستعدادلت النفسية المهيئة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:الإنهيار العصبي، الإكتئاب،الإظطرابات العقبية النفسية ...إلخ

(2)سنتعرض إلى هذه العوامل تفصيليا لاحقا.

(3) لقد أقر المشروع القانوني التمهيدي المعدل والمتمم للأمر رقم66 المؤرخ في 8جوان 1996، معاقبة " الحراقة" بين 20 ألف إلى 60 ألف دينار جزائري، ومابين شهرين إلى ستة أشهر نافذة سجنا، ومع هذا مازال الحراقة يختار بين مخالب السجون وأنياب البحر يختار عبور البحر، مجازفا بذاته مجسدا مقولة الحراقة " يأكلني الحوت ولا الدود" " كارتونا في روما ولا قعدة في الحومة"، وتشيرنادية بن علي في مقالها حول "الحراقة" أنه تم إحصاء 1530 حراقة من بينهم= =1485 جزائري.للتوسع أنظرالمقال« le phénomène des harraguas nous dépasse» المنشور في يومية" l'expression "يوم 27- 01- 2009.

إستفحال الظاهرة وتشابك عواملها وأسبابها، جعل الدارسين لها يؤكدون أن المجتمع الجزائري يعيش حاليا مرحلة تفكك خطيرة، سوف تخلق كوارث عديدة في المستقبل القريب لو ضلت الأمور على حالها ولم تتحرك بشأنها هيآت الدولة، فماهي إذن الدوافع الحقيقية لتزايد إنتشارها ؟ وفيما تتمثل أسبابها الحقيقية؟ وماهو الحجم الذي تأخذه عبر المناطق ؟ كيف يتوزع الفعل الإنتحاري بين الفئات العمرية والجنس؟ وأخيرا كيف ينظر إليه الخبراء والمحللين؟ للوصول إلى هذه الأهداف ،سنحاول التطرق بالعرض والتحليل إلى العناصر التالية:

1) تعريف ظاهرة الإنتحار ومواصفات الفعل الإنتحاري

2)العوامل المؤدية إلى الانتحار

3) ظاهرة الإنتحار في الجزائر:قراءة سوسيولوجية لبعض الإحصائيات:

4) تعقيب عـام

1) تعريف ظاهرة الإنتحار والمواصفات المرتبطة بالفعل الإنتحاري:

أ)الإنتحار في اللّغة العربية:إن كلمة إنتحارفي اللغة العربية مشتقة من الفعل" نحر" الذي من معانيه الذبح،[1] وانتحر الشخص يعني ذبح نفسه أو قتل نفسه. لغويا انتحار يعني قتل الذات لذاتها، يقال في اللّغة أيضا تناحر القوم يعني تشاجر إلى حد الموت والهلاك[2].

ب) الإنتحار في اللّغة اللاّتينية: من الناحية الاشتقاقية كلمة "Suicide" متكونة من شطرين : "Sui" وتعني النفس أو الذات و"cide" تعني القتل ، والكلمة المركبة تعني قتل الذات، فهي مرادفة للتعبير "" homicide de soi même"، أي الفعل الإرادي المتسبب في قتل الذات [3].

(1)معجم المنجد الأبجدي، بيروت، دار المشرق، 1968، ص105.

(2)الجيوش ناجي،الإنتحار دراسة نفسية وإجتماعيةللسلوك الإمنحاري،دمشق مِسسة الشبيبة للنشر والإعلام، 1990،ص23.

(3) Le Robert de la langue francaise, Paris Ed : M. S. N ,1985, p.116.

ج) مختلف وجهات النظر المتطرقة للإنتحار: يرى "إ . دوركايم " الإنتحار هو" نهاية الحياةالناجمة مباشرة أو غير مباشرة من فعل إيجابي أو سلبي للضحية بحد ذاتها، التي تعرف مسبقا بأنها ستقتل نفسها.يرى من جهةأخرى أ ن الإنتحار أنماط ونماذج من الأفعال، إذ يختلف الفعل الإنتحاري من حيث كونه: إنتحار آنومي أو الّامعياري كمايسميه والذي يحدث أثناء الأزمات التي تمر بها المجتمعات أو عند إختلال النظام الإجتماعي، أوإنتحارغيري (إيثاري) الذي يحدث من قبل الأشخاص الذين لا يريدون أن يكونوا عبئا على المجتمع، أويثيرون بأنفسهم بإخلاصهم من أجله أو من أجل الغير، إنتحار أناني الذي يحدث عند الذي يفقد القيم والضوابط التي تحكمه، فينطوي على على مبالغة تقدير نفسه.[1]

أما وجهة نظر" س فرويد" فقد رأى أن الإنتحار ناجم عن الدوافع النفسية، المرتبطة بسيطرة غريزة الموت والقطيعة مع الحياة (la prévalence de la pulsion de mort) ،التى تمثل خاصية بسيكوباثولوجية، كما يربط هذا السلوك بالهوية أوالتشخيص الذي يعطيه المنتحرللشيء(الآخر) الذي ينقلب ضده (nul ne trouverait peut –être l'énergie nécessaire pour se tuer s'il ne se tuait pas en même temps un objet avec lequel il s'était identifié, tournant ainsi contre lui-même un désir de mort primitivement dirigé contre autrui)، في حين يرى" أ أدلار" أن الإنتحارهو الفعل الناجم عن عدم تحقيق الهدف ،أو المبتغى الذي من المفروض يكون مقبول من طرف الآخرين لصالحهم، يتحول ضده وضد الآخرين[2]

أما القانون، فيرى من جهته أن الإنتحار فعل يؤدي إلى قتل الذات، أو إلحاق الأذى بها يؤدي إلى الموت ،مع إمتلاك الفرد المنتحر لكافة قواه العقلية، ومسؤوليته عن سلوكه وتصرفاته ،مسؤولية تامة.[3] يقدم القاموس القانوني الثلاثي تفسيرا

(1)عبد الفتاح مراد،موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات،الإسكندرية، الهيئة القومية لدار الكتب ولوثائق المصرية،د.ت، ص 1402

(2),Le suicide,article publié par B.Saint-Girons et al,in Encyclopédie Universalis,no 15,Paris,1980, p p.510,.511.

(3) نفلا عن عيدات أحمد "الانتحار" مقال نشر في مجلة الدركي، نوفمبر 2008 العدد 26، ص32.

جناءيا مرتبطا بالجريمة باعتبار أن اللّجوء إلى قتل الذات على طلب الضحية من قبل شخ يصبح جريمة قتل[1]

لقد كان ينظر إلى الإنتحار على أنه سلوك إجرامي، يجب معاقبته، ففي الحضارة الإغريقورومانية كانت تقطع يد المنتحر، وتدفن في مكان بعيد عن جثته، كما كانت تصدر أمواله وممتلكاته دون مراعاة لمحيطه الإجتعائلي.

التشريع في العصور الوسطى لم يكن يختلف عن التشريع في العصور السابقة، حيث كان المنتحر يحرم من مراسيم الجنازة،ومع ظهور تيار اللاّئيكية تغيرت النظرة إلى الإنتحار من الناحية القانونية بعد صدور القوانين الوضعية(نذكر هنا على سبيل المثال القانون الذي أصدره نابليون في فرنسا في 1810).

لقد أصبح ينظر إلى الفعل الإنتحارى على أنه مسألة تخص الفرد وحده، لكن مع الإعلان عن حقوق الإنسان، تطور تيار حرية الفعل الإنتحاري إلى أن أصبح يخلط بينه والأوتانازيا(euthanasie)،التي أصبحت تنادي به الجمعيات أكثر فأكثر، وهذا من أجل تسهيل موت المريض(المرض المزمن) دون مراعاة الجانب الديني والأخلاقي.

بناءا على ما تقدم من تعاريف يمكن القول أن الإنتحارهو قتل النفس عمدا، هذا الفعل مرتبط بعوامل سابقة أومؤهلة له، فردية متعددة تمتد من القلق إلى الإنهيار العصبي ...إلخ، وبعوامل إجتماعية إقتصادية تمتد من الصراع والأعباء إلى العزلة الإجتماعية ...إلخ، ويبقى المحيط الإجتماعي بمعية الظروف الإقتصادية ذات أهمية بالغة في القدوم إلى الفعل،وكذا في معدلاته.وهذا ما يؤكد عليه الباحثين الإجتماعيين (Christian Baudelot,Maurice Establet)في تفسيرهم للظاهرة " ليس المجتمع هو الذي يعطي نظرة عن الإنتحار وإنما هذا الأخيرالذي يعطي نظرة على المجتمع Ce n'est pas la société qui éclaire le suicide,c'est le suicide qui éclaire la société ." [2]

(1)مورس نخلة وآخرون، القاموس الثلاثي، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، د ت، ص301.

(2)Jérôme Sousty , Le Suicide dans le monde.OP.cit,p.8.

د) المواصفات المرتبطة بالفعل الإنتحاري: يرتبط بفعل" الإنتحار" عدة تعابير ومقاصد تحمل أبعادا ومواصفات مختلفة ،وهذا بإختلاف السياقات والظروف التي عاشها المنتحر أو محاول الإنتحار، ويمكن أن نشير في هذا السياق البعض منها على سبيل المثال: محاولة الإنتحار(la tentative de (suicide ،مايعادل الإنتحار(l'équivalent suicide)، الأفكار الانتحارية (idées suicidaires) ،المؤهل للإنتحار (le suicidaire)، فبالنسبة لمحاولة الإنتحار تشير العبارة إلى الفعل الإنتحاري الغير الكامل ،أي الغير المؤدى إلى الموت، هذا السلوك حسب المختصين في الأمراض النفسية له دلالته السيكلوجية ،التي تشير إلى رغبة الفرد في الحياة من جديد بطريقة أخرى، كما عرف "إ . دوركايم "هذا السلوك بفشل الوصول إلى الموت النهائي[1]، كما يمكن أن تتبع المحاولة،محاولات أخرى تصل إلى الإنتحار الفعلي الذي ينتهى بالموت، أما الأفكار الإنتحارية فتمثل الرغبات والمقاصد المعبر عنها، بواسطة التعابير أوالسلوكات التي يتظاهر بها الفرد، لجلب النظر إليه وإثارة النقاش حول حالته، يتساوى في المعنى أيضا ما يسمى بالمؤهل للإنتحار والذي هوسلوك معبر لنية في الإنتحار بطريقة سلوكية تأهيبية.

يشير تعبير " مايعادل الإنتحار إلى السلوكات أو المواقف التي يتحذها الفرد - الذي غالبا ما يعيش حالات قلق عميقة أو إكتئاب أو إنهيار عصبي قوي – تؤدي به إلى خطر الموت، ويمثل على سبيل المثال كل من رفض العلاج، التوقف عن الأدوية الإدمان المتواصل ...إلخ ،من الحالات التي تعبر عن السلوك المعادل للإنتحار [2].

نشير من جهة أخرى، أن الدراسات والأبحاث الإبدميولوجية ،التي تناولت الظاهرة تصنف الإنتحار المؤدى إلى الموت ضمن الدراسات الخاصة بالوفيات، أما محاولات الانتحار ضمن الدراسات الخاصة بالأمراض (Les études de morbidité).

إن البحوث هذه، سبقتها الطريقة الإحصائية التي نشرها "إ.دوركايم" حول الإنتحار، مبرزا الأبعاد السوسيولوجية(كالعزلة وضعف الروابط الإجتماعية على

(1)Emil DURKHEIM, Le Suicide , Paris P. U. F,1969,pp. 3-11.
(2)Pierre MORON, Le Suicide,Paris,Ed :P U F , 1975,P.18.

سبيل المثال) التي ترتبط بالظاهرة، حيث كان ينظرإلى الإنتحار على أنه راجع إلى إعتبارات فردية مرتبطة بالحالات النفسية الخاصة.

إن القراءة السوسيولوجية(للمعطيات الإحصائية) التي قدمها "إ.دوركايم" سمحت بدورها تحويل النظرة المعطاة للمجتمع ،واستدعت فهم المعنى العميق الذي يعطيه الفاعلون لحياتهم الإجتماعية.

2) **العوامل المؤدية إلى الانتحار:**

بالنظرإلى ميزة الفعل الإنتحاري المعقدة ،والمعنى المتعدد المعطى له من النواحي :الدينية، الطقوسية، الفلسفية، الثقافية ،الإجتماعية، النفسية المرضية...إلخ، فإن الأسباب والعوامل المؤدية إليه تعددت وتشعبت، سنركز في هذا العنصر على ثلاثة جوانب تبدو لنا لها الأثر المباشر والغير المباشر في الفعل الإنتحاري [1] وهي: العوامل النفسية، العوامل المرضية، العوامل الإجتماعية.

- **العوامل النفسية:** من هذه العوامل يمكن أن نذكر على سبيل المثال :

- الإكتئاب أو ما يسمى بالملونخوليا (la mélancolie):يمثل من أهم العوامل المرتبطة بالسلوك الإنتحاري .
- اليأس المتواصل والحزن الشديد يولدان بدورهما الأفكار الإنتحارية والرغبة في الموت.
- عدم الثقة بالنفس وفقدان القدرة على التأقلم مع المحيط والأوضاع الحياتية الصعبة.

- **العوامل المرضية:** من هذه العوامل المرضية يمكن أن نذكر على سبيل المثال:

- الإنهيار العصبي المزمن (La dépression chronique)، إنفصام الشخصية أوما يسمى بـ " الإسكيزوفرينيا" المرتبطة بتقلبات الميزاج(الحزن الشديد تارة، والفرح تارة أخرى)، القلق والوسواس القهري.
- الأمراض الجسمانية المستعصية، كالسرطان، الإيدز...وغرها من الأمراض ،التي تولد لدى المصاب رد فعل قهري، لقتل الذات لتجنب الآلام والمعاناة النفسية.

(1)سنركز على بعض العوامل، علما أن هناك عوامل أخرى لها دور في بروز الفعل الانتحاري.

- **العوامل الإجتماعية :** من هذه العوامل الإجتماعية يمكن أن نذكر على سبيل المثال أيضا :

- العزلة الإجتماعية والإنطواء على الذات، تعرض الذات للتفكيرعلى الإنتحار،بسبب الفراغ الإجتماعي، وغياب العلاقات الحميمية والتفاعل الإجتماعي، وهذه الحالات أشار إليها "إدوركايم" أن الإنتحار يزداد طرديا مع العزلة، ومع الطلاق أيضا.

- التفكك الإجتماعي وهذا ما يظهر جليا في حالات الطلاق المؤدية للإنتحار، باعتبارها صدمات إنفعالية عنيفة، تترك آثار نفسية واجتماعية وخيمة على الفرد الذي يعيشها على مدى الحياة.

- الصراع الإجتماعي أقل حدة من التفكك، لكنه يؤدي إلى حالات الإنتحار عندما تتراكم الصراعات ،وتزداد شدتها مع الحياة.

من العوامل الأخرى يمكن أن نذكر أيضا :الأزمات الإقتصادية التي يعيشها الفرد كالإفلاس والبطالة المزمنة، الفشل الدراسي، الكآبة العاطفية ،الفقر وإن كان هذا الأخير لا يعد عاملا حاسما في السلوك الإنتحاري[1]، يضاف إلى هذه العوامل عوامل مرتبطة بالصحبة السيئة وما ينجر عنها من إدمان على الخمر والمخدرات، فالأشخاص المدمنين عليها معرضين أربعة مرات أكثر إلى الإنتحار من الأفراد العاديين[2].

3)ظاهرة الإنتحار في الجزائر:قراءة سوسيولوجية لبعض الإحصائيات:

في الواقع عند الحديث عن الإحصائيات الخاصة بالإنتحار، نجد نفسنا أمام إشكالية حقيقية ،وذلك لعدم تواجد أية مؤسسة رسمية لديها جرد تام وموضوعي لعدد حالات الإنتحارو محاولاته وهذا على المستوى الوطني، فمصلحة الدرك تنشر من الحين والآخر بعض الأرقام والدراسات [3]، وهذه الأخيرة ما هي إلاّ معطيات عامة،

(1) كثير من الدراسات السوسيولوجية أشارت إلى أن الفقر يحمي من الانتحار وهو ما أكد عليه (إ. دوركايم) في دراسته حول الانتحار :« la misère protèg » .

(2)أحمد عياش، الإنتحار – نماذج حية لم تحسم بعد- بيروت، دار الفرابي، 2003،ص97.

(3) أنظر على سبيل المثال، المقال المنشور في المجلة (مجلة الدركي)، رقم 16،المرجع السابق، ص ص31- 36.

متعلقة بعمليات تدخل وحداتها في الأرياف والمناطق النائية ،في حين تحصي مصالح الأمن الحالات التي تقع في المدن والمناطق الحضرية حيث نطاق تدخلها، وهناك أيضا فرق الحماية المدنية التي تجمع بعض الإحصائيات التي تبقى هي الأخرى محدودة وفي حدود حالات تدخلها.

يؤكد الخبراء والمختصين بالظاهرة في هذا السياق،أن الأرقام المقدمة من مختلف المصالح المشارإليها بعيدة عن الحقيقة، لعدة أسباب يأتي في مقدمتها العامل الإجتماعي، لاتزال الأسر الجزائرية تعتبر التصريح بالإنتحار يجلب العار، ولهذا تحاول بقدر ما في وسعها لكتم الحقيقة،التي أصبحت ثقافة سائدة لدى الأسر الجزائرية التي عاشت الظاهرة،غير أن المفارقة التي أثارت إنتباه الباحثين وتساؤلاتهم أيضا، أن الأرقام المقدمة من قبل الجهات الأمنية لا تكشف عن الواقع، وإلاّ كيف نفسر النسبة المنخفضة بالجزائر العاصمة المتواجد بها ما يتعدى الـ3 ملايين نسمة مقارنة مع الولايات الأخرى، بجاية على سبيل المثال، ولهذا فثقافة الكتم وعدم التصريح ،أو بالأحرى التلاعب بالأرقام من بعض الجهات حسب تصريح أحد الأخصائيين في الأمراض العقلية، الغرض منها إخفاء الحقيقة.[1]

نشير في سياق مسار تطور الظاهرة ،أن الإحصائيات المتعلقة بالانتحار أثناء المرحلة الإستعمارية الفرنسية [2]، المنحصرة بين 1942- 1949، تكشف عن 1501 حالة انتحار، منها1086 ذكور و415 إناث، وهذا يعني أن نسبة الرجال المنتحرين(72 ,36%) تفوق نسبة النساء المنتحرات (27,64%) بما يعادل(2،66).

أما الفترة التي تراوحت مابين 1950- 1955، فتكشف عن 1476 حالة إنتحار حسب المدن الرئيسية الثلاثة وهي: الجزائر، قسنطينة، وهران، وتمثل سنة 1955 الأكثر إنتحارا(302حالة) ،مقارنة مع السنوات الأخرى(سنة 1950 سجلت 214 حالة، سنة1951سجلت244 حالة، سنة1952سجلت 212حالة، سنة 1953سجلت 237 حالة،

(1)نقلا عن مقال لسليمان حاج إبراهيم أرقام وحقائق مرعبة عن الانتحار في الجزائر الموقعwww.amanjordan .org

(2)Annuaire statistique de l'Algérie, Nouvelle série, deuxième volume, 1942-1949, Pub : Service de statistique général, Tableau (suicide) P13.

سنة1954سجلت 260 حالة) وفي كلتا الفترتين يمثل كل من الشنق ،واستعمال السلاح الناري من الوسائل الأكثر إستعمالا مقارنة مع الوسائل الأخرى.(1)

بالنسبة لفترة ما بعدالإستقلال،يلاحظ غياب شبه تام لنشرالإحصائيات، وهذا يرجع إلى عدم توفرمصلحة تختص بجردالظاهرة، حسب تصريح ممثل"المديرية العامة للأمن الوطني – D G S N "(2) ،وقد يعود هذا النقص كما أشرنا إليه إلى التغاضي عن الظاهرة من قبل السلطات ،باعتبار السلوك الإنتحاري في المجتمع الجزائري غير منتشر بكثرة في تلك الفترة، ولايستدعي مرصد وقائي، ونشير في هذا السياق إلى الدراسة التي أعدّتها جمعية الدكتور" محفوظ بوسبسي"Recherche et culture " أن الجزائر العاصمة إحتلت الصدارة من حيث نسبة الإنتحار في سنة 1964.(3)

أما دراسة الطبيب " فريد كاشا"حول الإنتحار في الوسط الحضري، تمثل من بين الدراسات الإبدميولوجية الأولى التي تناولت الموضوع بعد فترة الإستقلال[4]، وقد إنحصرت العينة بمستشفى " القطار" على 503 محاولة إنتحار عن طريق إستهلاك المواد السامة[5] " التسمم الإرادي الحاد– intoxication aigue volontaire"،بعد تحليل معطيات الملّفات توصل الباحث إلى نتيجة مؤداها أن من 503 محاولة إنتحار يوجد386 محاولة من فئة الشباب الذين لايتعدى سنهم 25 سنة، وهو مايعادل (76%) و(3%) من الحالات يمثلها الفئة العمرية المتراوحة بين 45- 55 سنة، كما توصل إلى 388 حالة يمثلها النساء أي مايعادل(77،13%)، 115 الحالة يمثلها الرجال(22،86%) ،وهذا يعني أن المحاولة الإنتحارية

(1)Ibid,p.13.

(2) إستجواب أجري من طرف الطالبة علال حكيمة أثناء إعدادها لمذكرة التخرج " فكرة الإنتحار عند المراهقين : دراسة ميدانية بثانوية عمر بن الخطاب بالبليدة، إشراف الأستاذ عثمان فكار، جامعة سعد دحلب البليدة.

(3) نقلا عن مقال: رم منشور فى موقع « suicide en Algérie » Que faut-il comprendre du suicide:.

(4)Farid KACHA,Contribution à l'étude du suicide en milieu urbain.Thèse de doctorat en médecine, faculté d'Alger, 1971.

(5) أشار الباحث إلى حالات الرفض عن الإجابة في الدراسة من قبل بعض المبحوثين،وحالات عدم التصريح من قبل العائلا ت لإخفاء الحادثة.

هي سلوك أنوثي والإنتحار النهائي هوسلوك ذكوري[1].نشير من جهة أخرى أن الباحث أجرى مقارنة مع عينة أخرى من مستشفى " ليل" الفرنسي سنة 1969[2].

1) الانتحار في فترة الثمانينات:

لقد دلت دراسة إبدميولوجية خصصت للفترة (1980- 1987) أجريت بمستشفى" باشا الجامعي "على 2039 ملف خاص بعملية التشريح، وقد أكدت الفحوصات على أن نسبة (32,4 %)يمثلها إناث و(67,6%) يمثلها ذكور ،وهي حالات(إنتحارية)،هذه الدراما الإجتماعية ترتفع بشكل بارز ما بين شهر أفريل وسبتمبر،تمثل الأشهر الأخيرة من هذه الفترة، فترة الصيف أين يجد الفرد نفسه في حالة جرد وتقييم للذات إجتماعيا ونفسيا، وبينت الدراسة من جهة أخرى أن نسبة الإنتحار ترتفع عند العزاب الذكور بنسبة (67,8%)و(25,6%)عند المتزوجين، و(13,8%)عند المطلقين، كما ترتفع النسبة بـ (53,4%)عند العازبات، و(19%)عند المتزوجات،و(1,6%)عند المطلقات، كما بينت الدراسة أن(5،1 %)إنتحرن بسبب العلاقات الغير شرعية(فقدان العذرية)[3].

2)الإنتحار في فترة التسعينيات:

إن المعطيات الإحصائية تخص الفترة الممتدة بين 1990- 1994، مصدرها مصلحة الأمن الحضري[4]، حسب تصريح مصلحة الإتصال والإعلام بلغت حالات محاولة الإنتحار793 محاولة منها 475 يمثلون الذكور، وهو ما يعادل (60 %) و318 يمثلون الإناث أي نسبة(40 %) ،بينما بلغت حالات الإنتحار299حالة، منها 189 يمثلون الذكور، وهو ما يعادل (62،21 %) و110 يمثلون الإناث،أي بنسبة تقدر بـ(36،79%) ،وهذا يعني أن المرحلة هذه تمثل خصوصية سوسيولوجية مميزة وهي أن كلا حجم الإنتحار ومحاولته يرتفعان عند الذكور مقارنة مع الإناث حلال هذه المرحلة.

---

(1) للتوسع حول الدراسة أنظر الصفحات 26 وبعدها.

(2) للتوسع أكثر راجع الأطروحة.

(3)Le phénomène du suicide :des gardes fous, article publié par le quotidien El Moudjahid du14avril1992,p.p.4-5.

(4)مذكرة إحصائيات من مصلحة الأمن، نقلا عن علال حكيمة، المرجع السابق ذكره، ص80.

أما عن الوسائل المستخدمة، فيمثل كل من إستهلاك المواد السامة،الشنق والسقوط من الأماكن العلوية من أكثر الوسائل المستخدمة للوصول إلى الإنتحار النهائي.

3)الإنتحار في فترة الألفية الجديدة:

نشير مرة أخرى إلى غياب مرصد وطني يخول له احتساب حالات الإنتحار وتقييمها، وهذا ما يجعل مهمة الباحث محدودة، لاتمكنه من كشف حقيقة الظاهرة[1]،التي أخذت حسب المحللين أبعادا خطيرة، سنتقيد في هذا العنصر بالإحصائيات المقدمة من طرف إدارتي مصالح الأمن(الدرك والشرطة) أيضا، فحسب مصالح الدرك،أنه خلال الفترة الممتدة بين 1993- 2003 تم تسجيل 4111 بين انتحار ومحاولة انتحار،وقدر حجم محاولة الانتحار بـ769محاولة أي ما يعادل نسبة(19%)، في حين قدر الحجم الإجمالي للانتحار بـ3342 وهو ما يمثل نسبة (81 %)،أما فيما يخص العلاقة بين متغير الجنس والظاهرة، فإن المعطيات تبين أن الذكور يمثلون 445 حاولوا الإنتحار أي ما يعادل نسبة (58 %)،في حين بلغ عدد المحاولات عندالإناث324 حالة أي ما يعادل نسبة(42 %).

لقد بلغت حالات الإنتحار خلال هذه الفترة أيضا 2500 عند الذكور أي ما يعادل نسبة (75 %)، أما عند الإناث فقد بلغ العدد842 حالة،أي ما يعادل نسبة (25 %)،وهذا ما يبين أن الذكور هم أكثر إقداما للانتحار ومحاولته حسب مصادر الدرك، ويمثل الإنتحارالناجح ميزة سوسيولوجة بارزة عندها(فئة الذكور)،كما تأخذ المحاولة الإنتحارية حسب ذات المصدر إتجاها تصاعديا من الإناث إلى الذكور، رغم تقاربها نسبيا.

وحسب دراسة أشرف عليها مجموعة من الخبراء من تخصصات مختلفة (علم النفس، علم الإجتماع، علم الأعصاب) من مركز" البحث والدرسات المعمقة حول

(1)لقد صرح البروفيسور " بن صحه" أثناء إنعقاد اليوم الدراسي حول المظاهر الطبية الشرعية للإنتحار بالمعهد الوطني للصحة العمومية، أن الجزائر تعتبر من بين الدول الفليلة التي هي غير مسجلة في قائمة المنظمة العالمية للصحة، لعدم توفر الإحصائيات الرسمية الوافية.للتوسع حول الموضوع يمكن الرجوع إلى الموقع : www. AL-khial.com

الإنسان" لحساب منظمة غير حكومية، أن الولاية" تيزي وزو" التي كانت تحتل الريادة على مستوى القطر، فإنه يلاحظ فيها إنخفاض في حالات الإنتحار بالنسبة لسنة 2004، حيث لم تتعدى 62حالة، واحتلت ولاية بجاية المقدمة بـ 99 حالة انتحار،وتأتي في المرتبة الثالثة ولاية تيارت بـ 24 حالةإنتحار، تليها ولاية وهران بـ 21 حالة وبومرداس بـ 18حالة، معسكر بـ 17 حالة...إلخ[1].

تفيد مصالح الدرك وهذا حسب التقرير السنوي لسنة 2005 و2006 أن نسبة الإنتحار قد إنخفضت من 192 حالة إنتحار في سنة 2005 إلى 112 حالة إنتحار في سنة 2006، وهذا على مستوى نطاق تدخلها في المناطق التي تدخل ضمن صلاحياتها.

أما فيما يخص مدى انتشار الظاهرة في أوساط الشباب، فتفيد تقارير إحصائية رسمية عن الدرك الوطني أيضاعن تزايد مستمر، فقد تم تسجيل2974 حالة إنتحارمن سنة 1993 إلى غاية أوت 2005، وهذا في وسط فئة الشباب التي يتراوح عمرها ما بين18 إلى 40 سنة، فيما تأتي الفئة الأقل من 18 سنة في الترتيب الثاني بالنسبة لسنتي 2004 و2005 ، كما تم تسجيل عند هذه الفئة وهذا خلال التسعة الأشهر الأولى من سنة 2007، ما يصل إلى 99 حالة انتحار و98 محاولة انتحار فاشلة، أي ما يعادل أكثر من 10حالات في الشهر الواحد، والملفت للإنتباه هو عدد الأطفال الذين إنتحروا خلال نفس الفترة المذكورة إذ تبين الإحصائيات، تواجد 14 حالة انتحار مقابل 19 حالة فاشلة عند فئة القصر، أي الأقل من 18سنة.كما تفيد ذات المصادر أنه خلال فترة الـ7 أشهر الأولى من سنة 2008 ،تم إحصاء مايصل إلى100 حالة إنتحار ،منهم 78 ذكور مقابل 22 إناث،في حين بلغت حالات المحاولة134 محاولة،40 محاولة يمثلها الذكورو 94 إناث، أما عن الفئة العمرية التي مستها الظاهرة نجد 70 حالة سجلت عند الفئة الأقل من 30 سنة، وهو ما يبين جليا مدى استفحال الظاهرة في الوسط الشبابي، أما الوسائل المستعملة في تنفيذ الفعل الإنتحاري فإن أكثر من 70 % يلجأون إلى الشنق الطريقة

(1) نقلا عن مقال لسليمان حاج إبراهيم أرقام وحقائق مرعبة عن الإنتحار في الجزائر الموقع www.amanjordan .org

الأكثر تداولا عند الذكور، في حين يلجأن الإناث إلى إستهلاك العقاقير الطبية أو مواد التنظيف ،أو السقوط من الأماكن العلوية (الشرفات والأسطح)[1].

إنها الوضعية التي آلت إليها الظاهرة في الجزائرإذن،فمع مسار إنتشارها وتوسعها في وسط المراهقين الذين يفضلون الموت بدلا من الحياة، إنها الوضعية التي تستدعي التوقف عندها أيضا وإتخاذ الإجراءات اللاّزمة لتطويقها، على مستوى العائلة، المدرسة والمجتمع أيضا،وتشجيع على فتح قنوات الحوار، خاصة وأن فكرة تقبل الإنتحار لدى الشباب أصبحت من اليوميات المتداولة في الخطاب الشعبي،" الموت ولا الحياة" ما ناش عايشين" رانا ضايعين" إلى غير ذلك من العبارات التي نسمعها هنا وهناك ،تقريبا كل يوم عند الفئة الشابة التي تمثل لوحدها أكثر من(75 %) من سكان الجزائر.

إن تصاعد الظاهرة يبينه الجرد العام لمصلحة الشرطة القضائية على مستوى المناطق الحضرية حيث نطاق تدخلها،تؤكد المعطيات إجمالا أنه في سنة 2007 بلغت حالات الانتحار 309 حالة ،منهم 253 ذكور أي ما يعادل(82 %) مقابل 56 إناث وهو ما يمثل أيضا(18 %)،في حين بلغت حالات المحاولة بـ992محاولة،322 محاولة يمثلها الذكور و670 إناث، في سنة 2008 بلغت حالات الانتحار 325 حالة ،منهم 242 ذكور(75 %) مقابل 83 إناث(25 %)، في حين بلغت حالات المحاولة1027محاولة،287 محاولة يمثلها الذكور(28 %)و 740 إناث(72 %)،أما الثلاثي الأول من سنة 2009 تشير الإحصائيات إلى61 حالة إنتحار على المستوى الوطني منها 45 حالة يمثلها الذكور (74 %) و16 الحالة يمثلها الإناث(26%)،في حين بلغت حالات المحاولة337 محاولة،68 (20 %) محاولة يمثلها الذكور و269إناث(80 %)، أما على مستوى المدن تحتل ولاية تلمسان المرتبة الأولى بـ 52 حالة منها إنتحارين و50 محاولة إنتحارية، تليها ولاية وهران بـ35 حالة أي إنتحارين و33 محاولة إنتحارية، ثم تيارت بـ 31 حالة منها انتحار واحد و30 محاولة، الجزائر بـ 26 حالة منها 06 إنتحارات و20 محاولة، تيبازة بـ 24 حالة،

(1)نفلا عن عيدات أحمد "الإنتحار "، المرجع السابق، ص34، 35

تأتي ولاية تيزيوزو في المرتبة السادسة في حجم الظاهرة بـ 21 حالة ولكن تحتل الصدارة من حيث الإنتحار الناجح وذلك بـ: 11 إنتحار مقابل 10 محاولات فاشلة .

تعقيب عام:

إستهدفنا من خلال هذا المقال محاولة الكشف عن واقع ظاهرة الإنتحار، والمعدلات التي أخذتها عبر المناطق والفئات الإجتماعية بمختلف الأعمار والجنس ،كما حاولنا إبراز العوامل المهيئة لها، مع محاولة تقديم قراءة سوسيولوجية للمعطيات الإحصائية، ومن أهم الإستنتاجات التي يمكن الخروج بها في هذا الصدد ما يلي:

- يمثل الإنتحار ظاهرة معقدة بالنظر إلى تشابك العوامل المؤدية إليه، كما يجر معه عبئ انفعالي ضخم، وصدمة يمتد مداها إلى الحياة الإجتماعية،كما يترك آثارا وخيمة وإحساس بالذنب الدائم في الوسط العائلي.

- تختلف الأسباب والدواعي المؤدية إليه باختلاف الجنس،حيث تؤكد أغلب الإحصائيات والدراسات- إلاّ في حالات محدودة- أن محاولات الإنتحار تكثر عند الإناث مقارنة مع الذكور الذين ينتحرون أكثر، وهذابمعدل 3 أضعاف أكثر منهن،كما تبين أن الفعل الإنتحاري إمتدّ إلى فئتي الشيوخ والأطفال.

- تكثر معدلات الإنتحار ومحاولاته في الأوساط الفقيرة وبصفة خاصة عند فئة البطالين الذكور،حيث تشير إحصائيات تقارير الأمن العام إلى إحتلالهم المراتب الأولى في القوائم الإجمالية، والجدير بالملاحظة أيضاأن الظاهرة أضحت تمس أكثرفأكثر فئة الشباب والمراهقين في آن واحد.

- من بين الوسائل المستعملة لتجسيد الفعل الإنتحاري: إستهلاك المواد السامة والمنظفة،العقاقير الطبية، السقوط من العلو، تمثل ميزة أنوثية على العموم، في حين يمثل كل من السقوط من العلو،إستعمال السلاح الأبيض والناري، الشنق وسيلة ذكورية، تكاد الوسيلة الأخيرة أن تصبح الأكثر إستعمالا، وهذا ما يفسر أن العلاقة تجاه الموت هي علاقة عنيفة جذرية عند الذكور بالمقارنة مع الإناث ،اللاّئي يكثرن من المحاولات الإنتحارية كما تؤكده الإحصائيات العامة،فإذا كانت هذه الأخيرة تعتبر بمثابة نداء

وإستغاثة وجلب المحيط نحوهن، فإن مبتغى الموت عند الذكور هوشجاعة، ورد الإعتبار للذات التي أضحت لاتتحمل العبئ المتراكم.فالدافعية نحو الإنتحارالناجح سمة الذكور.

- على مستوى المناطق الجغرافية تبين الإحصائيات أنه ليس هناك علاقة بين الحضرية والإنتحار بل أن الظاهرة تتجلى أكثر في المناطق الريفية والمدن المتوسطة،وتعود منطقة القبائل إلى إحتلال الصدارة في القائمة حسب الثلاثي الأول من سنة 2009 كما أشرنا إليه.

- إذا كانت الأغلبية تعتقد أن لعامل الدين دور في كبح الإقدام على الفعل الإنتحاري(على أساس أن الإقدام على الفعل حرام والآيات المبينة كثيرة)، فإنه يلاحظ من جهةأخرى إنتشار الظاهرة في الأوساط المحافظة،وإلاّ كيف نفسر الظاهرة المنتشرة لدى النساء الماكثات بمدينة " غرداية" وهي من أكثر المدن الجزائرية المحافظة.

- إن تفشي الظاهرة وإنتشارها أكثر فأكثر مع العشريات الأخيرة في مختلف الأوساط الإجتماعية والمناطق الجغرافية، وفي مختلف الشرائح الإجتماعية، مع أخذ بعين الإعتبارالعوامل المذكورة آنفا،يمكن القول في نهاية المطاف أن التحولات الإقتصادية والسوسيوثقافية والتناقضات التي صاحبتها في سيرورتها ،نتج عنها صراعات ومشاكل، خلقت بدورها باثولاوجيا نفسية واجتماعية ،عائلية وفردية، فالعلاقة الإرتباطية بين الإنتحار وهذه التناقضات لا يمكن نكرانها.

نشير في نهاية هذا العرض إلى ضرورة إنشاء المرصد الوطني للإنتحار، بدونه لايمكن تقديم جرد حقيقي ودراسات وافية عن الحالات، يضاف إلى هذا ضرورة الدعم الموجه إلى الأخصائيين من أطباء مشرعين، أخصائيين في الأمراض العقلية والنفسية، تدعيم المنظمات المدنية والجمعيات التى تعمل على التحسيس بالظاهرة ،كفتح مراكز الإستماع لنشر الوعي الوقائي لمواجهتها،هذا الأخير يقوم أساسا أيضا على قاعدة دراسات، وأبحاث طبية، إذ لايعقل أن تفتقر البلاد إلى دراسات إبدميولوجية إلى يومنا هذا.

قائمة المراجع باللّغة العربية:

1) الجيوش ناجي،الإنتحار دراسة نفسية وإجتماعيةللسلوك الإمنحاري،دمشق مِسسة الشبيبة للنشر والإعلام، 1990.

2) أحمد عياش، الإنتحار – نماذج حية لم تحسم بعد- بيروت، دار الفرابي، 2003.

3) عبد الفتاح مراد، موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات، الإسكندرية، الهيئة القومية لدار الكتب والوثائق المصرية، د.ت.

4) عيدات أحمد "الإنتحار" مقال نشر في مجلة الدركي، نوفمبر 2008 العدد 26.

5) معجم المنجد الأبجدي، بيروت، دار المشرق، 1968.

6) مورس نخلة وآخرون، القاموس الثلاثي، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، د ت.

قائمة المراجع باللّغة الفرنسية:

1) Annuaire statistique de l'Algérie, Nouvelle série, deuxième volume, 1942-1949, Pub: Service de statistique général, Tableau (suicide).

2) Farid KACHA, Contribution à l'étude du suicide en milieu urbain.Thèse de doctorat en médecine, faculté d'Alger, 1971.

3) Jerome SOUTY, le suicide dans le monde, revue (Sciences humaines) n° 169, mars 2006.

4) Le suicide, article publié par B.Saint-Girons et al, in Encyclopédie Universalis, no 15, Paris, 1980.

5) Le phénomène du suicide: des gardes fous, article publié par le quotidien El Moudjahid du14avril1992, p.p.4-5.

6) Emil DURKHEIM, Le Suicide, Paris P. U. F, 1969.

7) Pierre MORON, Le Suicide, Paris, Ed: P U F, 1975.